جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

معالم التجربة الصوفية في شعر عائشة الباعونية [٨٨٥-٩٢٢هـ]
دراسة تحليلية تطبيقية

إعداد

د. رضوان محمد سعيد إيزولي

أستاذ مشارك كلية الحصن الجامعية – قسم العلوم الأساسية الإنسانية - جامعة البلقاء التطبيقية- الأردن

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الأول-فبراير)
(الجزء الثالث (١٤٤٥هـ /٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٤/٦٢٧١م

معالم التجربة الصوفية في شعر عائشة الباعونية [٨٨٥-٩٢٢هـ] دراسة تحليلية تطبيقية

رضوان محمد سعيد إيزولي

قسم العلوم الأساسية الإنسانية، كلية الحصن الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

البريد الإلكتروني: radwan.kurdi@bau.edu.jo

الملخص:

تتناول هذه الدراسة تجربة عائشة الباعونية الصوفية من خلال شعرها وناقشت الجوانب الفنية كاللغة الصوفية الشاعرة وانزياح لغتها إلى رموز ومصطلحات عرفانية وبينت القيمة الأدبية للشعر الصوفي عند الباعونية ، وتناولت معجم الباعونية ومصادرها الكبرى من خلال التناص الذي يشيع في ديوان فيض الفضل، وكذلك درس الباحث المضامين التي تناولتها الباعونية في شعرها، كالتجربة الصوفية وتجليات الشعر الصوفية الذي أثر في وجدان الشاعرة ونظرتها للعاذل ومنها قدم النور المحمدي صلى الله عليه وسلم، وأخيرا ناقش الباحث تائية الباعونية وقارنها مع تائية السلوك لابن الفارض وكذلك خمريته اللامية.

الكلمات المفتاحية : أدب صوفي، الباعونية، الانزياح، التناص، الحقيقة المحمدية، الحب الإلهي.

The landmarks of the Sufi experience in the poetry of Aisha Al-Ba'ouniya [885-922 AH] An analytical applied study

Ridwan Mohammed Saeed Izouli
Department of Basic Human Sciences, Al Hosn University College, Al Balqa Applied University, Jordan.

Email: radwan.kurdi@bau.edu.jo

Abstract:

This study examines the Sufi experience of Aisha Al-Ba'ouniya through her poetry, discussing artistic aspects such as the Sufi poetic language and the shift of her language towards symbolic and mystical terms. It highlights the literary value of Sufi poetry among the Ba'ouniya, and delves into the lexicon of the Ba'ouniya and its major sources through the intertextuality prevalent in the collection of Fayd Al-Fadl. The researcher also analyzes the themes addressed by the Ba'ouniya in her poetry, such as the Sufi experience and manifestations of Sufi poetry that influenced the poetess's emotions and her view of the divine caller, including the presentation of the Muhammadan light, peace be upon him. Finally, the researcher discussed Al-Ba'uniyyah Ta'iyya and compared it with Ibn Al-Farid's Al-Suluk Ta'iyya, as well as his Al-Khamriyya Al-Lamiyya.

Keywords: ***Sufi Literature, Al-Ba'ouniya, Linguistic Shift, Intertextuality, Muhammadan Truth, Divine Love***.

المقدمة

الشاعرة عائشة الباعونية[١] من الشخصيات النسوية المتميزة، فهي عالمة جامعة لكثير من العلوم، فالباعونية قصة نجاح للمرأة العربية، وتجربة صوفية أدبية علمية فريدة في التاريخ الإسلامي وحضارته، فهي شاعرة تناولت أغراض الشعر العربي فقرضت الشعر في المدح والفخر والحنين والغزل والوصف والمديح النبوي ولها فيه بديعية الفتح المبين في مدح الأمين ولها عليه شرح، ولها ديوان فيض

---

(١) "من قرى عجلون في شرقي الأردن، ومولدها ووفاتها في دمشق" ساجلت الشعراء وارتجلت الشعر ومدحها الشاعر عبدالرحيم وقد ذكرت من قبل المؤرخين فأثنوا عليها ثناء يليق بمقامها فالعماد في شذراته يقول فيها:" الشيخة الصالحة الأريبة العالمة العاملة، أحد أفراد الدهور ونوادر الزمان فضلًا وأدبًا وعلمًا وشعرًا وديانةً وصيانةً. تنسكت على يد السيد الجليل إسماعيل الخوارزمي ثم حملت الى القاهرة ونالت من العلوم حظا وافرا وأجيزت بالإفتاء والتدريس" وكذلك العاملي في الدر المثور يترجم لها: بأنها امرأة فاضلة ، أديبة لبيبة عاقلة، وعلى وجهها من الجمال لمحة جملها الأدب ، وحلتها بلاغة العرب ، فجعلتها بغية الطالبين ، ومنية الراغبين في العلم والأدب، حتى قيل: إن عائشة الباعونية بين المولدين تزيد على الخنساء بين الجاهليين" تفردت في علمها وقد اعتبروها شخصية تميزت على من سبقها من الصحابيات والتابعيات علما وفضلا وإجادة وتأليفا، بل إنها حليفة الأدب أينما حلت وارتحلت كما أشار لذلك حسن الربابعة تلقلت علومها في دمشق والقاهرة ومشايخ عصرها بل نشأت في بيت عريق في العلم والأدب والدين والصلاح وأجيزت في مصر بالإفتاء وتفقهت على مذاهب السنة الأربعة فكانت فقيه العصر وعالمة بالسيرة النبوية فضلا عن خوض تجربتها الروحية التي جسدتها في مؤلفاته الأدبية ذكر وينقل لنا الغزي في الكَوكِبِ السَّائِرَةِ أنها كانت تقول: أَهّلَنِي الْحَقُ لِقِراءَةِ كِتابِهِ العَزيزِ، ومَنَّ عَلَيّ بِحِفْظِهِ على التَّمَامِ ولِي مِنَ العُمْرِ ثَمانِيَةِ أَعْوامٍ، رحلت إلى مصر طلبا للعلم والحجاز للحج والعمرة وأفاض الله عليها بفضله بوصف مشاعرها حيال هذه الزيارات المباركة.
والباعونية شاعرة عاشت وماتت في العصر المملوكي حيث انتقلت مع بداية حكم العثمانيين٩٢٣هـ – ١٥١٦م.

الفضل في الشعر الصوفي، وهو وجهة الباحث، والباعونية متعددة المواهب فهي كما عددت في أغراض الشعر فقد عددت في أشكاله أيضا، فقرضت الى جانب الشعر العمودي، الموشح والزجل والدوبيت والمواليا ونوعت بين الفصيح والعامي المتأدب، وعلمها بين الوهب والكسب فقد منّ الله بالعلوم الوهبية إضافة لعلومها الكسبية، وتمتاز هذه الأدبية بكل ميزات الحسن الممدوحة في المرأة من خلق ودين وذكاء وعلم وعطاء وإبداع وتقوى واستقامة وفقه وتأليف وفيض وفضل. وكي لا أطيل فهذه سيرتها مبثوثة في كتب التاريخ والتصوف والأدب.

أمّا هذه الدراسة فهي دراسة فنية تسلط الضوء على التجربة الصوفية عند عائشة الباعونية وسيكون بحثي حول أدبها الصوفي؛ حيث قسم الباحث البحث إلى ثلاثة مباحث: أما **المبحث الأول** فيدور حول المضامين الشعرية ودرس الباحث فيها أربعة مضامين: شعر التجربة الصوفية وتجليات الشعر الصوفي في التذلل للمحبوب ونظرة الباعونية للعاذل ورابعها قدم النور المحمدي.

والمبحث الثاني تناول الجانب الفني وفيه ثلاثة مطالب: أولها: يدور حول لغة الباعونية الصوفية الشاعرة، وما طالها من انزياح نحو الرمز والمصطلح والمطلب الثاني: ناقش الباحث فيه القيمة الأدبية لشعر الباعونية، وأخيرا بيّن البحث مواطن التناص عند الشاعرة، والمصادر الفنية التي تأثرت بها الشاعرة.

والمبحث الثالث عرض الباحث إلى بعض النماذج التطبيقية على شعر الباعونية وهو يقوم على مطلبين: تائيّة الباعونية ثم لاميتها؛ حيث مقارنات مع تائية السلوك لابن الفارض وخمريته اللامية، وأرجو الله ان أكون قد وفقت في هذه الدراسة التي تضيء جانبا من جوانب فاضلة الزمان الشاعرة عائشة الباعونية رحمها الله.

الدراسات السابقة: الباعونية عالمة ملأت الدنيا علما وأدبا، ولفتت انتباه الدراسين والنقاد قديما وحديثا، وشاعت ترجمتها في كتب التراث فترجم لها الحنبلي

[ت:٩٧١هـ] في" دُرُّ الحَبَب في أعيان حلب " والغزي [ت:١٠٦١هـ] في " الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة" وكذلك ترجم لها ابن العماد [ت:١٠٨٩هـ] في الشذرات وزينب العاملي [ت:١٣٣٢هـ] في الدر المنثور في طبقات ربات الخدور" كما ذكرها البدوي الملثم "يعقوب العودات"[ت:١٣٩١هـ] في القافلة المنسية وبطرس البستاني[ت: ١٨٨٣م] في دائرة المعارف، ومحمد علي الصويركي في: عائشة الباعونية فاضلة الزمان، كما تناولها بالدراسة محمد عيسى قنديل في رسالته للماجستير " عائشة الباعونية حياتها وأدبها ، وحسن ربابعة في رسالته" عائشة الباعونية شاعرة " وله بحث حول إبداع الرمز الخمري في شعر الباعونية وهو بحث قيم ويعتبر من الباحثين المهمين حول أدب عائشة الباعونية وهناك دراسة قدمها سعيد محمد علي بواعنة "السيدة عائشة الباعونية : حياتها ومنهجيتها وجهودها العلمية والأدبية، وكذلك التناص الديني في شعر عائشة الباعونية الحديث القدسي أنموذجاً، للباحثة ضحى حاجم محمد، جامعة بغداد-كلية التربية للبنات، وكلها دراسات تناولت الباعونية وأدبها، وأكثرها دراسات إلى التاريخ والترجمة أقرب أكثر منها للأدب عامة والصوفي خاصة اللهم إلا بعض الدراسات المتخصصة في كليات الآداب التي أشرت إليها، والباحث تناول الجانب المتخصص في الأدب الصوفي وأثره في شعر الباعونية؛ لعله يساهم في إضافة حلقة إلى حلقات الدرس الفني حول الباعونية.

منهج البحث : اتبع الباحث المنهج السيميائي، والمنهج الفني الذي يركز على دراسة لغة الباعونية، وغيرها من المنهاج التي تخدم البحث.

التمهيد

إن الحديث عن الأدب وتاريخه في العصور المتتابعة أمر يصعب الخوض فيه فالنظرة لهذه الدونية لتاريخ الأدب العربي فلاقى من الهجوم ما لم يلاقه عصر من العصور الأدبية السابقة خاصة وأن هذا الهجوم تبناه أعلام الباحثين في تاريخ الأدب واعتمدوا في أغلب ذلك على آراء المستشرقين الذين حاولوا وبكل طاقاتهم طمس ما تحويه هذه العصور من قيمة أدبية، وكان ذلك بعد الحروب الصليبية، ودخول الدولة الإسلامية إلى أطراف أوروبا أيام الدولة العثمانية .

كما أنهم ربطوا الأدب بالضعف السياسي، علما بأن الأدب قد يعاكس في اتجاهه الخط السياسي ويكون في صعود، كما نجده في أواخر العصر العباسي والعصر المملوكي والعصر العثماني، والتاريخ الأدبي شاهد على ذلك .

كما أن الكثير من البحوث والمؤلفات المتأخرة تناولت أدب العصور المتتابعة عامة والعثماني خاصة ، أثبتت عكس ما تبناه رافضو الأدب المملوكي والعثماني وساعد في تبني هذه الآراء ما لازم العصور المتتابعة من ضعف وتخلف في جميع مناحي الحياة سواء في ذلك الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتفشي الفقر والجوع والخوف فلحق بذلك الجانب الأدبي.

ولكن لا يخلو عصر من العصور من ذلك كله ولكنها تتفاوت من عصر إلى آخر وهذا يعني أن الحكم بانقطاع الأدب والنقد وانحطاط الذائقة الأدبية ما بين العصر العباسي، والعصر الحديث فيه من الظلم الظاهر للأدب العربي وفنونه، وهذا بالتالي يؤدي إلى عدم تسلسل حلقات الأدب العربي، ويفقده حلقة مهمة من حلقاته ويبتر عضوا من جسم الأدب العربي وهي فترة تزيد على ستة قرون.

ومن هنا فإنني كباحث في تاريخ الأدب لا أسلم لما صدر عن نقاد الأدب ودارسيه من حكم على هذه العصور –التي سموها بالعصور المتتابعة أو الانحطاط–

بالعقم والانحطاط وموت الذائقة الفنية لدى أمة بدأ تاريخها بالشعر واشتهرت بالأدب خلال تاريخها الطويل من لدن العصر الجاهلي مرورا بالعصور الإسلامية حتى العصر الحديث، فهي أمة الشعر فكيف نبتر من تاريخها حقبة زمنية تنوف على الستة قرون ثم نقفز عنها إلى عصر النهضة والتجديد فهل جمدت القرائح وعقم المجتمعات الإسلامية عن ولادة أديب أو ناقد أو عالم بالأدب كما ادعاه بعض الدارسين، ولذلك فمن الإنصاف أن نقوم بإعادة النظر في أدب هذه العصور وننصف ما حسن منه وجاد، ونبين ما ضعف منه وقبح فلا ننسف أدب هذه العصور نسفا قبيحه ومليحه.

ويطالعنا في هذه العصور أدباء وشعراء ونقاد لا يقلون أهمية عن شعراء وأدباء عصور ازدهار الأدب .

فالمصادر تقول غير هذا ومعاجم الأدباء والشعراء تذكر الكثير من أسماء الشعراء والأدباء والعلماء، والذين ما زلنا نذكرهم ونتغنى بشعرهم ونتأدب بآدابهم ونتدارس علومهم، ففي هذه العصور برزت الموسوعات والمعاجم بكل أشكالها وأنواعها، والدواوين التي لم ينظر في أكثرها، وما زالت قابعة على رفوف المكتبات العالمية، والمؤلفات التي حفظت لنا تاريخ هذه الأمة وها هي تنتظر من يمسح عنها الغبار وينظر ما فيها من كنوز معرفية.

إنه الظلم الممنهج لهذه العصور؛ عصور وفرة التأليفات والفتوحات والانتصارات المتتالية ، عصور التنوير والنشاط الحضاري عصور السلاطين والقادة عصور قطز والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف صلاح الدين خليل الذي استعاد عكا وآخر معاقل الصليبيين في بلاد الشام، وهي عصور الشركسي برقوق الذي تصدى لتيمورلنك واستعاد ما احتله التتار في بلاد الشام والعراق ومنها بغداد، إنه عصر نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وعصر عين جالو ت وحطين والذي فيها حرر بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وسلاطين العثمانيين كسليم الأول

وسليمان القانوني وعبدالحميد إنه عصر العز بن عبد السلام والنووي وابن تيمية وابن القيم الجوزية والغزالي وابن منظور وابن حجر العسقلاني وابن كثير والمقريزي وابن جماعة وابن قدامة المقدسي، وابن وابن الشعار خلدون، وابن التعاويذي والبهاء زهير، وشهاب الدين التلعفري، وابن نباته، وبهاء الدين الإربلي، وابن النحاس، وصفي الدين الحلي، والشاب الظريف، وابن دنينر وبلبل الغرام الحاجري والحيص بيص، والقاضي الفاضل واللواح والملك الأمجد المكزون السنجاري، وابن مليك الحموي والبوصيري، وابن حجة الحموي والشيخ عزالدين الموصلي، وفاضلة الزمان شاعرتنا عائشة الباعونية والقائمة طويلة لا يمكن إحصاؤها في هذه الورقات.

فمثل هؤلاء هم من سطروا لنا التاريخ وصنعوا الحضارة ورسموا طريق الثقافة والأدب ونقلوا لنا علوم الأولين التي لولاهم لضاعت علومهم على يد المغول والتتار.

ومن هؤلاء العلماء الذين تركوا بصمة في الدراسات الأدبية عائشة الباعونية وهي موضوع بحثنا والتي تناولها الدارسون في التراجم والبحوث والدراسات والرسائل الجامعية مؤخرا، وهذا البحث يأتي لإضافة جديدة على أدبها الصوفي الذي أشرت له في المقدمة فهي الشيخة والعارفة والمحبة والفانية والمداحة لرسول الله وهي طلائع أصحاب البديعيات والتي تحتاج لدراسة مستقلة في هذا الجانب حيث بسطت في شرحها آراءها، ولعل دراسة تتحفنا بنقدها وبيان قيمته النقدية.

إن الحديث عن الأدب وتاريخه في العصور المتتابعة أمر يصعب الخوض فيه فالنظرة لهذه الدونية لتاريخ الأدب العربي فلاقى من الهجوم ما لم يلاقه عصر من العصور الأدبية السابقة خاصة وأن هذا الهجوم تبناه أعلام الباحثين في تاريخ الأدب واعتمدوا في أغلب ذلك على آراء المستشرقين الذين حاولوا وبكل طاقاتهم طمس ما تحويه هذه العصور من قيمة أدبية، وكان ذلك بعد الحروب الصليبية، ودخول الدولة الإسلامية إلى أطراف أوروبا أيام الدولة العثمانية.

كما أنهم ربطوا الأدب بالضعف السياسي، علما بأن الأدب قد يعاكس في اتجاهه الخط السياسي ويكون في صعود، كما نجده في أواخر العصر العباسي والعصر المملوكي والعصر العثماني، والتاريخ الأدبي شاهد على ذلك.

كما ان الكثير من البحوث والمؤلفات المتأخرة تناولت أدب العصور المتتابعة عامة والعثماني خاصة ، أثبتت عكس ما تبناه رافضو الأدب المملوكي والعثماني وساعد في تبني هذه الآراء ما لازم العصور المتتابعة من ضعف وتخلف في جميع مناحي الحياة سواء في ذلك الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتفشي الفقر والجوع والخوف فلحق بذلك الجانب الأدبي.

ولكن لا يخلو عصر من العصور من ذلك كله ولكنها تتفاوت من عصر إلى آخر وهذا يعني أن الحكم بانقطاع الأدب والنقد وانحطاط الذائقة الأدبية ما بين العصر العباسي، والعصر الحديث فيه من الظلم الظاهر للأدب العربي وفنونه، وهذا بالتالي يؤدي إلى عدم تسلسل حلقات الأدب العربي، ويفقده حلقة مهمة من حلقاته ويبتر عضوا من جسم الأدب العربي وهي فترة تزيد على ستة قرون.

ومن هنا فإنني كباحث في تاريخ الأدب لا اسلم لما صدر عن نقاد الأدب ودارسيه من حكم على هذه العصور –التي سموها بالعصور المتتابعة أو الانحطاط– بالعقم والانحطاط وموت الذائقة الفنية لدى أمة بدأ تاريخها بالشعر واشتهرت بالأدب خلال تاريخها الطويل من لدن العصر الجاهلي مرورا بالعصور الإسلامية حتى العصر الحديث فهي أمة الشعر فكيف نبتر من تاريخها حقبة زمنية تنوف على الستة قرون ثم نقفز عنها الى عصر النهضة والتجديد فهل جمدت القرائح وعقم المجتمعات الإسلامية عن ولادة أديب أو ناقد أو عالم بالأدب كما ادعاه بعض الدارسين، ولذلك فمن الإنصاف أن نقوم بإعادة النظر في أدب هذه العصور وننصف ما حسن منه وجاد، ونبين ما ضعف منه وقبح فلا ننسف أدب هذه العصور نسفا قبيحه ومليحه،

ويطالعنا في هذه العصور أدباء وشعراء ونقاد لا يقلون أهمية عن شعراء وأدباء عصور ازدهار الأدب.

فالمصادر تقول غير هذا ومعاجم الأدباء والشعراء تذكر الكثير من أسماء الشعراء والأدباء والعلماء، والذين ما زلنا نذكرهم ونتغنى بشعرهم ونتأدب بآدابهم ونتدارس علومهم، ففي هذه العصور برزت الموسوعات والمعاجم بكل أشكالها وأنواعها، والدواوين التي لم ينظر في أكثرها، وما زالت قابعة على رفوف المكتبات العالمية، والمؤلفات التي حفظت لنا تاريخ هذه الأمة وها هي تنتظر من يمسح عنها الغبار وينظر ما فيها من كنوز معرفية.

إنه الظلم الممنهج لهذه العصور؛ عصور وفرة التأليفات والفتوحات والانتصارات المتتالية ، عصور التنوير والنشاط الحضاري عصور السلاطين والقادة عصور قطز والظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف صلاح الدين خليل الذي استعاد عكا وآخر معاقل الصليبيين في بلاد الشام، وهي عصور الشركسي برقوق الذي تصدى لتيمورلنك واستعاد ما احتله التتار في بلاد الشام والعراق ومنها بغداد، إنه عصر نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وعصر عين جالو ت وحطين والذي فيها حرر بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي، وسلاطين العثمانيين كسليم الأول وسليمان القانوني وعبدالحميد إنه عصر العز بن عبد السلام والنووي وابن تيمية وابن القيم الجوزية والغزالي وابن منظور وابن حجر العسقلاني وابن كثير والمقريزي وابن جماعة وابن قدامة المقدسي، وابن الشعار خلدون، وابن التعاويذي والبهاء زهير، وشهاب الدين التلعفري، وابن نباته، وبهاء الدين الإربلي، وابن النحاس، وصفي الدين الحلي، والشاب الظريف، وابن دنينر وبلبل الغرام الحاجري والحيص بيص، والقاضي الفاضل واللواح والملك الأمجد المكزون السنجاري، وابن مليك الحموي والبوصيري، وابن حجة الحموي والشيخ عزالدين الموصلي، وفاضلة الزمان شاعرتنا عائشة الباعونية والقائمة طويلة لا يمكن إحصاؤها في هذه الورقات.

فمثل هؤلاء هم من سطروا لنا التاريخ وصنعوا الحضارة ورسموا طريق الثقافة والأدب ونقلوا لنا علوم الأولين التي لولاهم لضاعت علومهم على يد المغول والتتار .

ومن هؤلاء العلماء الذين تركوا بصمة في الدراسات الأدبية عائشة الباعونية وهي موضوع بحثنا والتي تناولها الدارسون في التراجم والبحوث والدراسات والرسائل الجامعية مؤخرا، وهذا البحث يقدم إضافة جديدة على أدبها الصوفي الذي أشرت له في المقدمة والدراسات السابقة فهي الشيخة المربية والمريدة السالكة والعارفة والمحبة والفانية والمداحة لرسول الله وهي من طلائع أصحاب البديعيات فبديعيتها وشرحها "الفتح المبين في مدح الأمين والتي تحتاج لدراسة مستقلة في هذا الجانب حيث بسطت في شرحها آراءها، ولعل دراسة تتحفنا بنقدها وبيان قيمته النقدية ، وديوانها الصوفي فيض الفضل الذي يمثل تجربتها الصوفية ومناداتها الإلهية ومراحل سلوكها في الطريق إلى ما اعتمدنا عليه في دراستنا هذه.

المبحث الأول

المضامين الشعرية

أولا: تصوفها وخوض التجربة الصوفية: إن المتتبع لسيرة حياة الباعونية وطلبها للعلم ومؤلفاتها وشعرا ونثرا، والتراجم التي ترجمت لها يجدها صوفية النشأة والسلوك والمنهج من مبتداها إلى منتهاها، وقد صرحت بسلوكها على أيدي مشايخ التصوف في زمانها، ولكن تصوفها كان تصوف العلماء الذين يعيشون الحياة مع الناس ويستثمرون علمهم بالدعوة إلى الله والإصلاح المجتمعي لجذب النّاس إلى العلم والالتزام بالمنهج العلمي وهو المنهج الذي سلكه أغلب مشايخ الطريقة الشاذولية.

الباعونية نموذج فريد بين نماذج المرأة المسلمة بهرت العلماء والشعراء والأدباء والفقهاء ، فلم تسلك طريق اعتزال الحياة والانغلاق على الذات بل كانت فاعلة منفعلة مع ما يدور حولها من أحداث فاستفادت وأفادت حتى سُطِّر اسمها مع كبار علماء ومشايخ زمانها.

ونحن في هذا البحث سنعرض لمكامن التصوف في شعرها الذي فاض على لسانها من خلال ما مرت به من معاناة أثناء سيرها وسلوكها في تجربتها الصوفية ورحلتها الروحية وأكتفي بمقتطفات ومختارات من شعرها الصوفي الذي كان انعكاسا لسلوكها في طريق القوم الذي وصفته بلغة القوم تقول مصرحة بصوفيتها:" وكان مما أنعم الله به عليّ أنني بحمده لم أزل أتقلب في أطوار الإيجاد في رفاهية لطائف البرّ الجواد، إلى أن خرجت إلى هذا العالم المشحون بمظاهر تجلياته، الطافح بعجائب آياته وقدرته... ثم لم أزل في كنف ملاطفات اللطيف حتى بلغت درجة التكليف، فعند ذلك أماط عني حجاب النفس ، وكشف عني ستور اللبس، وشملني بنفحاته الربانية ، وأسعفني بجذباته الخفية، وجعل تربيتي وترقيتي ومحوي وتصفيتي على يد مدد

سلطان الأولياء في دهره، وتاج الأصفياء في عصره ، جمال الحق والدين السيد الجليل أبي الأقطاب، قطب الوجود إسماعيل الحواري ، ثم على يد مدد خليفته مقاما وحالا وقربا، واتصالا محيي الدين يحيى الأرموي، أمدّ الله ببركاته النامية مدة حياته، ووصلنا في كلّ نفس ببركاته واتصال امداداته"[١] وديوانها فيض الفضل مداره على المناجاة الربانية والمصطلحات الصوفية فهو" المشتمل على المناجاة الإلهية، والمعاني اللدنية ، والأحوال الوهبية، والمعاناة الذوقية، والشؤون الشوقية، والمذاهب العشقية، تعليلا لمن أحرقه الوجد، وجذبه التوق بالتوقِ، وجفاه الحبيب، وأمرضه الطبيب، وكثر فيه القيل والقال ، إلا إن خطر بالوصال، وزاد بالانفصال:

تواجدت حتى لاح لي في تواجدي وجود عن الأغيار للقلب صارف

فلا واجد إلا لحاليَ واجدٌ ولا عارف إلا بما قلت عارف[٢]

ثانيا: شاعرية الباعونية وتجليات الشعر الصوفي "التذلل للمحبوب":

وما ذكرناه حول الشعر الصوفي؛ لغته وشاعريته وغموضه ينطبق على شعر الباعونية، وهي في هذا شأنها شأن شعراء التصوف، فهي صوفية بامتياز خاضت التجربة الصوفية وجسدت مواجيدها وإلهاماتها وإشراقاتها في شعرها على الطريقة الصوفية في تناول الشعر الذي يقوم على الرمز والغموض والإشارة والتركيز على المعاني التي تفيض على الشاعر الصوفي التي أكسبتها العمق في أسلوبها التعبيري المغلف بالإشارة والبعيد عن وضوح العبارة على ما فيها من صدق البوح والشفوف في التعبير البعيد عن الغايات الدنيوية، فهم يعبرون عن مواجيدهم بالصدق

(١) ديوان فيض الفضل وجمع الشمل، عائشة الباعونية، تحقيق مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، ص٧٠.

(٢) ديوان فيض الفضل م.س ص١٧.

والتضحية والرغبة في الوصول إلى المحبوب عن طريق الذل الحقيقي لله لينالوا لذة القرب الذي يفوق كل اللذات المحسوسة، وهل يبتغي المحب غير القرب من محبوبه : جنة القرب منك أطيب من جنة الخلد وحورها والأرائك "[١]، وكل هذا نجده في شعر الباعونية الصوفي وخاصة ديوان فيض الفضل وجمع الشمل الذي أفاض به الله على قلبها ولسانها:

يـــا حبيـــب القلـــب صـــلني بتـــــــوالي جـــــــذباتك
وامتحـــــا ذاتـــــي بـــــذاتك وصـــــــفاتي بصـــــــفاتك
وكـــــــن الله نصـــــــيبي منـــــك ربـــــي بحياتـــــك
واجعـــــل العنـــــد مقـــــري وادننـــــي مـــــن درجاتـــــك
وبـــــك أبقِنـــــي وكـــــن لـــــي لكـــــنِ مـــــن حســـــناتك
ومـــــر المختـــــار طـــــه تـــــاج أعيـــــان ســـــقاتك
يـــــأمرن شـــــيخي المفـــــدى قـــــدوتي قطـــــب ولائـــــك
بـــــارتوايَ مـــــن شـــــراب ال حـــــب انـــــي مـــــن ظماتـــــك[٢]

صدق المحبة تتطلب من المحب ان يفنى بمحبوبه وينجذب إليه، وأن ينفي وجوده في وجوده ولتتحقق هذه الربّانية تناجيه بتذلل أن تنجذب إليه فلا تشاهد سواه، وتتحقق من قوله: كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، وهي

(١) الشاغوري ، عبدالرحمن، الحدائق النية على النسمات الروحية، الموشح الرابع، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م. ص١١١.
(٢) فيض الفضل عائشة الباعونية ص١٨٤.

تناجي ربها أن يعطف عليها قلب النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعطف عليها قلب شيخها، وها هي في حالة غيبة في محبوبها عشقا وحبا وحيرة وشوقا :[١]

سكران حبك طول الدهر لم يفق ظمآن حيران من شوق ومن قلق

مسهد القلب جافي العين مكتئب لا يطمئن إلى شيء من الفرق

من نار أشجانه الأحشاء في حرق ودمع أجفانه الأحداق في غرق

الذل لذته والفقر حيلته والصدق عمدته في سائر الطرق

خضوعه رفعة والفقر كنز غنى والذل عزّ وإن تفنه بقي

إذا دجى الليل أو نام الخليّ غدا مناجيا لك بالإفلاس والملق

فحبهم خال عن الغرضية، وتراهم لا يطرقون بابا سوى باب الذل والانكسار لعلمهم بما في هذا التذلل من رفعة ووصلة وفخار، وتجسد الباعونية طريق وصولها في صور من المتقابلات اللفظية؛ حيث تتلذذ بالتذلل إليه والتملق بين يديه وجعلت الخضوع رفعتها، والفقر غناها، والذل عزة، والفناء عين البقاء.

كيف احتيالي وقلبي للهوى عرض : وليس لي في السوى قصد ولا غرض[٢]

ثالثا: نظرة الباعونية للعاذل:

والعذال لا يتوقفون عن عذل المحبين ويقفون في طريقهم ولو ذاقوا ما ذقنا ما عذلوا، ولكنهم قساة القلب والعاشق يعذر اللائم لسببين: الأول: أنه لم يذق ما ذاقوا، والثاني: أنه يذكر اسم المحبوب ويصف معاناته مع العذال قائلا:[٣]

---

(١) الديوان ١٢٠.

(٢) الديوان ٧٦.

(٣) الديوان ٧٦.

والعــاذلون أطــالوا فــي ملامهــم وعرّضـوا بسـلوّي عـنهم واعترضـوا
ولا يرقّــوا لحــالي فــي ملامهــم ولا رعــوا لــي ذمامــا ولا حفظــوا
ونوّعوا الوعظ في عذلي ولو عدلوا وأنصــفوا لنفــوس مــنهم وعظــوا
لكـنهم إن أسـوْ فـي العـذل إنهـم قد أحسنوا بمرور الذكر مذ لفظوا
هـم المعـاذير مـا ذاقـوا الهـوى أبـدا ولا بأثقــال أعبــاء الأســى نهضــوا
هيهات ليس الخلِي مثل الشجيِّ ولا نِيامُ مثل الذي للشوق ما غمضوا

ولفك شيفرة اللغة الصوفية لا بدّ لنا من القراءات المتعددة للنص الواحد ، لنصل إلى المعنى الكامن وراء اللفظ والرموز وشطحات الشعراء فالخيال المجنح الفلسفي كما نجده قول الباعونية تصف ذائق الخمرة:

ذايقها في الناس كاس ومثل قولها ســقاها محبوبهــا شــراب الحــب"[1]
سقاني حميا الحب من قبل نشأتي ومـن قبـل وجـداني طربـت بنشـوتي

ووجدان الباعونية منطبع من ثقافتها وبيئتها الصوفية التي انعكست على نتاجها الأدبي شعرا ونثرا ، وكعادة الأديب الصوفي في سكب الرمز الصوفي خلال الشعر الوجداني المعبر عن اللوعة والاشتياق وشكوى الحرمان والغرام وأثره والخمرة وسكرها والحبيب وقيامة المكونات به، والخوف والتذلل للمحبوب محيلا هذه المواجيد إلى رموز عرفانية يطلقها الصوفي إما عن علم ودراية، أو عن وجد وفناء؛ يحاكي الشاعر خلالها ألفاظ العذريين والخمريين لعلاقة المشابهة في أثر الحب على العشاق ولذا شاع ذكرهم في قصائد الصوفيين بعامة والباعونية بخاصة؛ لأنهم قدوتهم في الهيام بالمحبوب، والطهر في العشق؛ لذا قال ابن الفارض:

---

(١) الديوان ٢٣٧.

وكن في الحب مثل مجنون ليلى : مع فارق واضح بين الصوفي والعذري أو الخمري هو أن المعشوق عند الصوفية هي الذات الإلهية أو الحقيقة المحمدية ولا علاقة لها بالأرضية ألبتة وهذه الرموز العرفانية الحبية والخمرية تشيع بوضوح في دواوين وعناوين عائشة الباعونية التي أسكرها العشق الإلهي وبراها الشوق إلى محبوبها

رابعا : قدم النور المحمدي:

ومن نثرها الشاعري في النور المحمدي: أن الله تعالى أبدع قبل الكائنات نوره، وجعل رحمة للعالمين ظهوره، ولم يكن في ذلك الوقت عرشٌ ولا كرسي، ولا ملكٌ ولا إنسي، ولا جنةٌ ولا نار ، ولا ليلٌ ولا نهار، ولا رسمٌ ولا آثار، فجعل ذلك النورَ يدور، في علمِ من بيده مقاليدُ الأمور، إلى أنْ آنَ أوانُ ظهور ما شاء الله من خلقه في قالب الإيجاد، فخلق سبحانه من النور المحمدي ما شاء وأراد،..... فسبحان من خصه بالأولية في كل اختصاص أكمل، وكمال أفضل، منها أنه أول من أخذ عليه الميثاق،عاشت الباعونية تجربتها الصوفية الوجدانية واستخدمت اللغة الرمزية الصوفية للتعبير عما نازلته من وجد وحرقة وهيام واصطلام مستخدمة لغة العشاق والمحبين كما استخدمت لغة الخمريين التي درج عليها شعراء الصوفية وسكرها ناتج عن مطالعة الجمال والاستغراق في مشاهدته؛ فتتجلى لها الذات من خلاله، وتتكشف لها الحقائق والأسرار... التي لا توهب لأحد غير العارفين والأولياء لما أودعه الله في قلوبهم من الأسرار الإلهية والحقائق الربانية التي لا يعرفها إلا اولياء الله؛ لأن عبادتهم ناتجة عن فيضان وجد وشوق وحب.

المبحث الثاني

الجانب الفني

أولا: اللغة الصوفية الشاعرة والانزياح:

من أهم الملاحظات التي يجدها الباحث في الأدب الصوفي لجوءهم إلى التكتم وعدم الكشف عن علومهم؛ لأن يرون أن علمهم هذا علم خاص بمواجيد ومشاعر يتذوقها الأديب بمذاق خاص لا يستطيع التعبير عنه إلا من ذاقه بل لجأوا إلى ستره عن غيرهم، ويرى محيي الدين بن عربي وجوب ستره عن أغلب البشر ويعلل ذلك " لما فيه من العلو فغوره بعيد، والتلف فيه قريب؛ فإن من لا معرفة له بالحقائق، ولا بامتداد الرقائق، ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به ، وهو لم يذقه ربما قال: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فلهذا نستره ونكتمه "(١)

وهذا ما ذهب إليه المستشرق نيكلسون أن اصطناع الصوفية للأسلوب الرمزي ما هو إلا قناع: "يسترون به الأمور التي رغبوا في كتمانها، وهذه الرغبة طبيعة عند قوم يدّعون أنهم خُصّوا دون غيرهم بمعرفة الباطن، وفوق ذلك فإن التصريح البيِّن بما يعتقدون لعله أن يهدد حريتهم بل حياتهم، فإن تركنا جانبًا كل هذه الدوافع فالصوفية قد اصطنعوا الأسلوب الرمزي، لأنّهم لم يجدوا طريقًا آخر ممكنًا يترجمون به عن رياضتهم الصوفية، والعلم بخفايا عالم الغيب المجهول الذي ينكشف في رؤيا جذبية.. ليس في الطوق تبيانه، دون اللجوء إلى صور ومشاهدات منتزعة من عالم الحس "(٢)

---

(١) ابن عربي، محيي الدين، رسائل بن عربي (لبنان: دار احياء التراث،١٣١٦هـ)، ص٣.

(٢) ٨٦.في التصوف الإسلامي وتاريخه، رينولد نيكلسون، ترجمة أبو لعلاء عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.١٠٥.

ويرى نيكلسون أنهم: "لم يجدوا وسيلة أقوم ولا أقدر على التعبير عن مواجدهم وأحوالهم من الشعر"[١] والتجربة الصوفية قائمة على العلاقة الخاصة القائمة بين العبد وربه، والتعبير عنها يعني التعبير عن مشاعر ومواجيد لا تسعف صاحب التجربة إلا باللجوء للرمز والغموض، وهذا يعني أن النص الصوفي له قراؤه ومتذوقوه وإلا لفهم فهما لا يقصده الصوفي ولا يمثل حقيقة ما أراده هذا الأديب أو ذلك الشاعر.

وما ذاك إلا لأنها إلهامات ربانية وإشراقات فيضية وعلوم لدنية فاضت من قلب الأديب على لسانه تعلموها بلا حرف ولا صوت فتأتي لغته شاعرية مؤثرة لا كما يرى نيكسون بان تأتي بصورة أوتوماتيكة ولم يكن وليد وعي أدبيّ[٢] وكأنه يريد نفي القيمة الفنية للشعر الصوفي ونثره ، كيف يأتي أوتوماتيكيا وهذا الرصيد من التراث الأدبي الذي فاق كل أدب بصدق بوحه وحسن أدائه وصدوره عن شعراء يملكون الشعر وأدواته؛ إذا قالوا أسروا وأرقصوا المتلقي أية أوتوماتيكة هذه في قول الباعونية:[٣] وعار في المحبة بثُّ ما يلقاه بالشكوى

ففيه ترخص القتلى وفيـــه تعشق البلوى
فهـــل ترني أفوز بقربه الشافي من الأدوا
فقربي منـــه جلّ القصد ثم الغاية القصوى
وما أعني بذا سلمى ولا هندا ولا علـــوى
وما قصدي به إلا عليـــم السر والنجوى

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه نيكلسون، ص: ٩٠.
(٢) ينظر: رينولد نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص٩٥-٩٦.
(٣) ديوان فيض الفضل ص٨٩.

فلم هذا الغموض والانزياح عن المعاني الحقيقية للألفاظ التي ملأت دواوين الصوفية إلا تعبيرا عن مواجيد خاصة غلفت لسترها

"يحدثني فافهم ما يقول يساررني بما تأبى العقول

ففوق العقل أسرار تناجي تغيب عن الكرام فلا حلول

فجل الله عن حرف وصوت إن هي إلا أفكار تجول"(١)

وهذه التجربة الخاصة تحتاج إلى لغة خاصة للتعبير عنها مما أدى إلى الانزياح في الخطاب الصوفي نتيجة استخدامهم الاستعارات التي وجدوا فيها مجالا رحبا للتعبير عن مواجيدهم، ولذا لا يحق لمن لا يفقه المعاني المبطونة في النص الصوفي الاعتراض عليه، فلو عرف السبب لبطل العجب ومن جهل شيئا عاداه.

قال ابن عربي:

يا من يراني ولا أراه كم ذا أراه ولا يراني

يا من يراني مذنبا ولا أراه آخذا

يا من أراه منعما ولا يراني لائذا

فللوهلة الأولى يفاجئك النص وقد يقع المتلقي بتكفيره فكيف يقول: كم ذا أراه ولا يراني، لكنه لما فصّل وشرح وبيّن المقصود بطل الإنكار، ومن هنا فقراءة النص الصوفي تحتاج إلى قراءات متعددة وقارئ عارف بمكنونات الشعر وأذواق شعراء التصوف؛ كي ينجلي عنه الغموض، ومن ميزات الشعر الصوفي على ما فيه من غموض تبقى شاعريته كامنة فيه تأسر المتلقي ممن عرف مصطلح الصوفية

---

(١) الكردي محمد سعيد، ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية، تحقيق عبدالرحمن الشعار ط١،كنز ناشرون، ٢٠٢٢م ص١٥٩.

وألغازهم والمعاني وراء مرامي كلامهم ، فتجده مأسورا مستغرقا يعيش في عالم من التجليات في حالة من الغيبة عن ذاته وحسه وحضوره مع محبوبه يستقي خمرة الحب التي يتلقاها مما يسمع من شعر؛ فالشعر خمر المعاني والصوفي هو الكأس والأواني خمرنا خمر المعاني : عتقت من قبل آدم : ونحن لها القناني من زمان قد تقادم " النابلسي ديوان الحقائق" ولا نستغرب حين نسمع من دارسي الأدب وأساتذتنا وهم يذكرون الشعر الصوفي ويثنون على قيمته الأدبية ويتعاملون معه على أنه أدب رقيق شاعري يفوق في غزله غزل العذريين وفي خمرياته خمريات الخمريين، وهم يعتبرونه من شعر الغزليات والخمريات(١) .

ثانيا: القيمة الأدبية لشعر الباعونية:

حين نطالع ترجمة الباعونية نجد النقاد قد أشادوا بقيمة عائشة الباعونية وقيمتها الأدبية فهي :" بين المولدين تزيد على الخنساء بين الجاهليين" والمتتبع لأدبها وشعرها يجده لا يقل قيمة عن قيمة الباعونية؛ لما يحويه من قيمة لغوية، وأصالة أدبية وما شاع فيها من المصطلحات الأدبية والبديعية والرمز الصوفي الذي شاع في ديوانها المعبر عن تجربتها وسلوكها في طريق المعرفة الإلهية، ونجد في هذا الديوان معجما لمصطلحات الصوفية التي تتضمن دلالاتها الرمزية، والمجازية يوحي بدلالاته الرمزية الصوفية ويتراوح ديوان الفضل بين الشعر العمودي وهو يشتمل على أكثر الديوان ونجد فيه الموشح بأنواعه، والمخمسات وهي قليلة، ونجد فيه العامي الملحون: الزجل والدوبيت والمواليا ، والديوان يقوم على الحب الإلهي والوصايا والمواعظ والمديح النبوي، وقصيدة الباعونية تتراوح بين الشعرية التي تحمل معنى الحب والغزل والخمرة في المعنى الظاهر والمعنى الصوفي الباطن الذي يرمي

(١) هذا ما ذكره العلامة ناصر الدين الأسد حين سجلنا معه حلقة حول الأدب الصوفي.

إليه ويلوح به تلويحا، مما يمتع كلا من المتلقي الصوفي وغير الصوفي، ولكل فهمة وهذه ميزة لن تجدها إلا في الشعر الصوفي ونثل لذلك بقولها في الحبّ الإلهي:

محبـــك لا يقـــر لـــه قـــرار وكيـف وفـي الحشـى للحـب نـار

تـــذيب فـــؤاده فيســـيل دمعـــا لـــه فـــي الخـد جـري وانهمـــار

جفـا الأجفـان منـه النـوم حتـى كـان الليـل مـن سـهر نخـار

محـاه الحـبّ حتـى مـا يلاقـي لـــه شـــبح يعـــاد ولا يـــزار

وألبســـه الغـــرام ثيـــاب ســـقم مورّســـة علاهـــا الاصـــفرار

وســـيّره الهيـــام بكـــل واد فأصـــبح لا يقـــر لـــه قـــرار

يُـــرى فرحـــا إذا دام التجلـــي وفـــي حـــزن إذا حصـــل اســـتتار

وهكذا يسير في قصيدة مع الغزل العذري ومعاناته وأثره على ضعفه وسقمه وهزاله وهيامه حتى ينقلنا إلى المعاني الصوفية: وفي التحقيق أسقط كلّ قصد : فليس له مراد واختيار

يرى منه الإرادة فرط ذنب ورؤيا الغير بالوجدان عار

فلو عذبتموه وكان فيـــه رضاكم ضوعفت منه المسارُّ

تجرد من سواك فصار حرّا مـن الأغيار مسكنه القفار

وتنقلنا من إسقاط التدبير والتجرد مما سوى الله وغيرها من المصطلح الصوفي إلى المعجم الخمري وبلغة الخمريين تصف حالها منذ دخولها ألحان ودوران الكأس والشرب حتى الرّيّ والغيبة من أثر الشرب فتقول:

ولما أن أذنتم في دخول لحان فيه كأسكـــم يدار

وأسقيتم له حتى تروى وداخل عقله منه الخمار

ثم تعود بنا لتنقلنا إلى المصطلح الصوفي ورمزه فها هي نتيجة ذلك الشرب والسكر والري يغيب عقلها وتمحيه في حقائق التوحيد ولتنتقل إلى حالة من الفناء والطمس والاستغراق في بحر التجلي الإلهي

محته حقائق التوحيد حتى غدا طمسا فليس له غبار

وهكذا هي طبيعة الشعر الصوفي الذي يلهب المتلقي ساعة السماع فيعيش حالة وجدانية تدغدغ عواطفه ويعيش في عالم حالم من الرومانسية والحب، ويغيب في عالم السكر لينتقل من الأرضي إلى الحبّ الإلهي؛ ليتحول الحال إلى مجمع الأحبة من الذاكرين وكذا الشراب إلى واردات عرفانية وإلهامات ربانية تصب في المتلقي المعبر عنه بالكأس وكل هذا الشراب عبارة عن خواطر: لوامع وبوارق وطوالع وهذه الواردات المعبر عنه بالسكر هي الغيبة من شدة الواردات المشار إليها.

ولهذا نجد الشاعر الصوفي يحذر من فهم قصائده على ظاهرها؛ لأنها ألفاظ غير مقصودة لذاتها وقد استعاروها من ألفاظ الخمريين والعذريين؛ لأنهم لا يملكون لغة سواها للتعبير عن مواجيدهم.

الغالب على شعر الباعونية أنه شعر ملتزم باللغة وقواعدها إلا أنه كغيره من الشعر الصوفي يعتمد على التنغيم والموسيقى ليصلح للإنشاد والسماع الذي يقام في حلقات الصوفية ولذا نجدها تساهلت وخرجت على اللغة ولهذا نجد بعض العيوب كالإقواء وتسكين الفعل المضارع وحقه التحريك بالرفع أو النصب، والجور على الاسم المنقوص بعدم إثبات الياء عند النصب وما ذاك إلا ليستقيم الوزن ويتناسب مع الموسيقى الشعرية مع أنها لغوية بارعة ضابطة.

ثالثا: التناص والمصادر المؤثرة في شعر الباعونية:

من أهم مصادر الباعونية الكبرى في شعرها ونثرها: القران والعلوم الشرعية والثقافة الإسلامية التي حصنت نفسها فيها، ومطالعة دواوين كبار الشعراء الصوفيين

الذي كان له كبير الأثر على شعر الباعونية فمعجمها الشعري مشحون بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ولكن ما يهمنا تأثرها بشعراء الصوفية كابن الفارض والحلاج ورابعة العدوية والسهروردي وكان أثرهم جليا في استخدام أسلوبه وألفاظهم وبحورهم وقوافيهم فنظمت متأثرة بهم وتناصّت معهم.

أ. أثر الحلاج وابن الفارض: فمن تأثرها بالحلاج قولها من المجتث: "

أخذتني لك منـي فغبت عندك عني

ورحت مني رواحا لظلّ كوني مفني

وأشرقت شمس حقٍّ يجلى بمطلق حسنِ

جماله مذ تجلى باللطف مني أخذني

فلست أشهد غيرا ولست أعرف أني

وكيف لا وحبيبي أدنى بحاني مني

وقال اشرب مدامي بفيض فضلي ومنّي

". قالتها متأثرة بقول الحلاج من المجتث:

عجِبتُ مِنكَ ومِنّي يا مُنيَةَ المُتَمَنّي

أَدَنَيتَني مِنكَ حَتّى ظَنَنتُ أَنَّكَ أَني

وَغِبتُ في الوَجدِ حَتّى أَفنَيتَني بِكَ عَنّي

يا نِعمَتي في حَياتي وَراحَتي بَعدَ دَفني

ما لي بِغَيرِكَ أُنسٌ إِذ كُنتَ خَوفي وَأَمني

يا مَن رِياضُ مَعانيـ ـهِ قَد حَوَت كُلَّ فَنِّ

وَإِن تَمَنَّيتُ شَيئًا فَأَنتَ كُلُّ التَمَنّي

لو أمعنا النظر لوجدنا عائشة الباعونية تناصّت مع نص الحلاج شكلا ومضمونا؛ فالشكل يتناص مع القافية والبحر والمضمون واحد وهو غيبة كلا الشاعرين في مَجَالِي التَّجليَّات الإلهية، فكل منهما غاب من شدة الوجد المحرق والخوف المقلق، وفني في الذات الإلهية فهي تقول: فغبت عندك عني، وهو يقول: وغبت في الوجد حتى : أفنيتني بك عني، وهذه الغيبة عند كليهما تؤدي إلى الإشراق النوراني لحضرة الإطلاق؛ ليحظى كل منهما بالقرب والوصال فالباعونية تقول: أشرقت شمس حقّ تجلى بطلق حسن، والحلاج يقول: ما لي بغيرك أنس فالغيبة والإشراق والشهود واحد عند كليهما، وهذا لا يكون إلا حين يكون المحب:

متلاشيا أفضى إلى تذويبه : نور التجلي حين أضحى يشهد

قد طهر الأسرار من دنس السوى: وغدا بصدق ولائه يتزوّد

والذي أراه من فرق بين العاشقين الشطح عند الحلاج ولكن الباعونية يبدو عليها الصحو والحلاج يسيطر عليه السكر حتى ظنّ أنه الحقّ، ولذلك قال: أدنيتني منك حتى ظننت أنك أني، بل قالها شطحا فقتل ببوحه، وسلمت الباعونية بفضل سيطرة العلم والفقه الذي أبقاها دون سطوة سيف الشرع.

ومن تناصها في اللفظ وشكلا ومضمونا مع رابعة العدوية قولها:

فلا الحمد في ذا وفي ذاك لي : ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وهذه الباعونية تقول:

أحبك لا أهوى سواك وإن يملْ فؤادي لمن أحببت فهو لحبكا

فلا الحمد لي في ذا وذلك سيدي ولكنّ في هذين حمدي لوجهكا"

وتأثرت بابن الفارض وتائيته :

سقتني حميا الحب راحة مقلتي : وكأسي محيا مَنْ عن الحسْن جلت

فأوهمت صحبي إن شرب شرابهم : به سُر سري في انتشائي بنظرة

وقصيدتها: سقاني حميا الحب من قبل نشأتي : ومن قبل وجداني طربت بنشوتي

كما تأثرت في حائية السهروردي : أبدا تحن لكم الأرواح : ووصالكم ريحانها والراح

في قصيدتها الحائية : هبت لنا من لطفك الأرواح : فتباشرت بوصالك الأرواح"

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية

أولا: تائية عائشة الباعونية : هذه القصيدة من القصائد الطويلة التي بلغت مئتين وخمسين بيتا ، جاءت على منوال تائية ابن الفارض بحرا وقافية وموضوعا، وتصويرا وطولا وعدتها سبعمائة وواحد وستون بيتا، وسنسلط الضوء في دراستنا هذه على هذه القصيدة لاشتمالها على خصائص شعر الباعونية وتدرجها في مراقي الوصول وشمول الحديث عن تجربتها الصوفية القائمة على الحب الإلهي والتعلق بالذات الإلهية على طريقة الصوفية كما نقرأه في مطلع القصيدة:

سقاني حميا الحب من قبل نشأتي : ومن قبل وجداني طربت بنشوتي

وأشهدني لطف الجمال كمـــــا يشا : بما شاء لَمّا شاء أخذ شهادتي

تطالعنا الباعونية بسكر الحب الذي سقيَته من قبل وجودها المادي في هذه الدنيا والذي ظل مصاحبا لها ولم ينقطع منذ عهد ألست بربكم فحين شهدت له في مجلى تجلي الجمال الإلهي الذي أودع في سرها تقول: وأوْدَع سري سرَّ سرٍّ تجلّى عن: إحاطته بالفهم أو بالبصيرة.

وهذا المشهد لا يدرك ولا يفهم بل لا يعرف إلا بالذوق الذي وهبه الله لخاصة عباده وبالتالي هي منح وعطايا مغلفة بالأسرار الذوقية التي قد توقع المشاهد لها بالبوح بما لا يباح من قوة الدهش وحلاوة الانتشاء وقد يشطح من اصطلام المشاهدة كما شطح الحلاج والسهروردي فهي تتدارك في البيت التالي لتعود من فنائها إلى بقائها ومن سكرها إلى صحوها ولتدفع الظنون والشكوك عن اتهامها بالحلول أو الاتحاد؛ لأن هذا المقام يحتاج إلى ذوق ليعيش الصوفي في وحدة شهود ويتحقق من فنائه فتقول:

فجل علوّا عن إحاطة حادث وعزّ جلالا عن فهوم الخليقة

فهي تسمعه بلا حروف ولكن سماعها في قلبها :"أعلل قلبي بالسماع ومهجتي"

نجد الباعونية في هذه الأبيات تستخدم لغة الخمريين ومصطلحاتهم كما أنها تغتنم قدرتها على استخدام القضايا البيانية لحبك قصيدتها؛ فمن لغة الخمريين السقي والانتشاء، ومن البلاغة أكثرت من استخدام الجناس "تشأتي ، نشوتي" : وأودع سرى سر سر تجلى وكذا قولها" كما يشا بما شاء لما شاء" وهذا الاستخدام لإخراج نفسها عن التأثير وإثباته لله تعالى .

وهي داعية للحب :

وصيرني في جامع الحبّ والهوى : أحيعل للعشاق أهل المحبة

ولها مذهبها في الحب:

فيا فقهاء الحب لي فيه مذهب : ومن بعضه محو الأنا في الهوية

وترك السوى والغير والجاه والهوى : لأجل رضى المحبوب ليس لعلة

وتشترك مع العذريين في حبها :

يقولون في ذكر الحبيب تنفس: وقد صدقوا لكن تثير صبابتي

فحالي في نطقي الهيام بذكره : وحالي بصمتي في الذهول بحيرة

يقولون ما تصغي فأبدي تصاممًا : يجرعهم من غيظهم مر غصة

يقولون من تهوى؟ أقول وما الهوى : يقولون كم كتما فتنطق عبرتي

فإن كنت مثلي في المحبة يا فتى : وأصبحت في أسر الجمال بجملة

فدونك منهاجي فسر فيه مقبلا : بفعلي ومن هاج فلا تخش وأثْبت

بل هي سيدة الحب وكعادة الشعراء الصوفيين كل يرى نفسه إماما للعاشقين ومفتيا وقدوة لهم؛ لأنه يرى ما لم يره غيره من تباريح الهوى والضنى والغياب في

المحبوب الذي لا يرى في الوجود سواه وهاذي الإمامة عند سلطان العاشقين ابن الفارض:[١] "

نسخْتُ بِحَبّي آية العِشْقِ من قبلي ... فأهْلُ الهوى جُندي وحكمي على

وكلُّ فَتىً يهوى فإنّي إمَامُهُ ... وإني بَريءٌ من فَتىً سامعِ العَذْلِ

ولي في الهوى عِلْمٌ تَجِلّ صفاتُهُ ... ومن لم يُفَقّهه الهوى فهْو في جهل

من لم يكن في عزة الحب تاها ... بحب الذي يهوى فبشره بالذل

إذا جاد أوام بمال رأيتهم ... يجودون بالرواح منهم بلا بخل

وإن أودعوا سرا رأيت صدورهم ... قبورا لسرار تنزه عن نقل

وإن هددوا بالهجر ما توا مخافة ... وإن أوعدوا بالقتل حنوا إلى القتل

لعمري هم العشاق عندي حقيقة ... على الجد والباقون منهم على

ووجدتها عند الشاغوري وعند ابن عليوة قبله والكردي وعائشة الباعونية وهذا لا تنافس على إمامة العشق من مفاخر الشعراء؛ لأن كل واحد منهم يلاقي ما لاقاه العشاق قبله فيظن نفسه تفوق عليه في الحب والحقية كما أراها أنهم كلّهم أئمة في الغرام والصوفي كما أشرنا يتفوق على العذري في حبه، فلا عجب أنه يفخر في هذا ولو لم يشعر بهذا لكان حبه ناقصا وهنا تناص في المضمون بين الشعراء وابن الفارض سلطان العاشقين :

فلو أن قيسا أو جميل بثينةٍ ... وكثيرا مع عروة بن حزام

في ذا الزمان لأذعنوا ليَ بعدما ... أبدوا لقدري أيّما إعظام

(١) ديوان ابن الفارض دار صادر ص١٧٤.

فأنا الذي قد رضت أسباب الهوى وعرفته حقا بلا إيهام
وشرحت منهاجا لها من بعد ما بينـــت فيـــه مـــن الأحكـــام

ثم تنتقل إلى مناسك الحج لتحولها إلى رموز عرفانية:

وصرت ألبي بالفناء عن السوى ونية إحرامي فنا بشريتي
ومن عرفات الحب قمت بموقف تأخر عنه كل صاحب علة
وما كان منه النفر إلا لحضرة مقدسة عن شين كيف ووجهة
ووادي المِنى منها بلغت المنى به بجمع بلا فرق بمنية منيتي
نحرت له نفسي خلافا لأمرها فسلمها من كل سوء وفتنة

وهو سره يطوف : وما زال سري والعناية مركبي : يسير إلى باب السلام بجذبتي

فطـــاف بالطـــاف الجمـــال مصـــليا لعز جلال الذات من غير حجبة
وكان صفائي اللطف والأنس مروتي ومسـعاي مشكورا بشـرع المحبـة
وهديي فنـائي فيـه والحلـق مخرجـي عـن الكـل والتقصـير لازم طينتـي

لوحة من الرموز العرفاتية تحدثنا عن مناسك الحج ولكنه الحج الروحي الذي أحالت الشاعر مصطلحات فيه إلى رموز عرفانية : فالتلبية ونية الإحرام بالفناء عن السوى ، والوقوف في عرفة: موقف الحب الذي لا يتأخر عنه إلا كل معلول، ونفرة عرفة تعني التقور إلى الحضرة والنحر عندها نحر النفس ومحاربتها لتعود إلى أصل فطرتها ، وما أن أتمت مناسكها حتى سمعته يناجيها ملاطف" ولاطف سري حين تمّت مناسكي: بأعلى خطاب منه أتممت نعمتي

تناصا مع قوله تعالى: "اليوم "كملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي" وهي الغاية التي يبغيها كل إنسان وهي حسن الختام بالوصول إلى عالي المقام.

هذه التحويرات والإزاحات اللفظية عن معانيها الأصلية ظاهرة أسلوبية من مظاهر الشعر الصوفي، فهم يلجؤون إلى مقابلة الأشياء الحسية ويحولونها إلى معنوية، فكما هنا صلاة وصيام وحج وزكاة حسية فهناك مثلها أركان معنوية كما نجده عند ابن الفارض:

أصلي فأشدو حين أتلو بذكرها وأطرب في المحراب وهي إمامي

وبالحج إن أحرمت لبيت باسمها وعنها أرى الإمساك فطر صيامي

إنها فرائض معنوية لاعتقادهم أن مراعاة القلب أولى من مراعاة الجسد؛ لأن القلب به يصلون إلى المعارف الإلهية والمقامات الحبية.

فيا حسنها من حجة معنوية بها عمرتي تمت بجبري ووصلتي

ثم تسترسل في حديثها عن زمزم الملتزم في رحلة روحية ارتقت خلالها درجات الوصول والقرب لتعود من رحلة مغمورة بفضله وقد ظفرت بأعلى سعادة:

فزار بهذا الحج سري سرُّه وأعطاه أقصى منتهى خير بغية

وعاد بفضل الله مغمور فضله وجاءت تهنيه عوالم جملتي

فلله ما أعلاه حجا معظما به ظفرت روحي بأعلى سعادة [١]

ومصطلحات المعجم الصوفي تشيع بكثرة في تائيتها والقائمة على المقابلة، منها الفناء والبقاء:

فنائي في حبي بقائي بنوره : وذلي عزي وانخفاضي رفعتي

فناء لعمري موصلا لفنا البقاء : بغير فناء قاطعا للقطيعة[٢]

---

(١) للاطلاع على حجتها المعنوية انظر ديوان الفضل ولم الشمل ص٢٣٩.

(٢) ديوان فيض الفضل التائية البيت ١١٦ ص٢٤٤.

وقالت في الوجود والشهود: وغاب وجودي في شهودي لمنتهى : منى منتهى غايا غايات بغيتي

وفي الجلال والجمال: وأدبه عز الجلال بقهره : وهذبه لطف الجمال برحمة

وفي الولي والصوفي والقطب:

وأُولِي وَوُلِّي واعتلى متدانيا : وصُفّي وصوفِي واصطُفي للولاية

وفي الفرق والجمع قالت: ..... وهني بجمع الجمع من غير فرقة

وفي الشيخ والطريقة والشريعة والحقيقة

....إمامي جمال الحق والدين والهدى ال مسمى إسماعيل سامي الطريقة

دليلي على سعدي فخاري في الورى وشيخي في شرع الهدى والحقيقة [١]

وقالت في الفقر والغنى والقبض والبسط :

وبؤسي نعيمي وافتقار هو الغنى : وموتي حياتي وانقباضي بسطتي

ونجد الوصل والهجر والقرب والبعد والمنع والعطاء والخوف والرجاء:

ووصل بلا هجر وقرب بلا نوى : وبذل بلا منع وجود بوصلة

وبسط بلا قبض وراح بلا عنا : ولطف بلا خوف ومنٍّ بمنَّة

وقالت في الحقيقة المحمدية:

حبيب برى الأكوان ربي لأجله فأصبح روح الكون سرّ الخليقة[٢]

---

(١) الديوان البيت١٥٥ والقطب بيت ١٥٨ص٢٤٦.

(٢) التائية البيت ١٦٧وما بعده كلها في مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوسل به مستخدما أسلوب التكرار في النداء على رسول الله ألا يا رسول الله كررها من البيت ١٨١-١٢٢٣اي ٤٢ تكرارا،ص٢٧٣ -٢٥٠.

وقالت في الكشف والستر، الجمع والفرق والخلوة والجلوة وكذا الكأس والخمر والدن والحان والراح والري من الفاظ الخمرة:

وكشف بلا ستر وود بلا قلى وجمع بلا فرق وخلوة جلوة

وكأس بلا كيف وخمر مروق بدنٍّ تدان حلّ حان المحبة

يدور بلطف يمتلي بعناية يفوح بروح فيه أروح راحة

يحيّي فيحيا كل قلب بنشره يروّي فيفنى المرتوي في الهوية

وفي هذا الجانب تلتقي الباعونية مع ابن الفارض وتغير على خمريته مستخدمة ألفاظه وصوره وذلك في قولها :

يقولون هات وصفها وفعالها بإيضاح قول وانف أوضار شبهة

قلت سناها لو تبدى بليلة ديجوجيَّة وأضحت كأعظم صَحوة

ونفحتها لو شم عطر أريجها ذوو الكفر أضحو مسلمي بالعقيدة

ولو ذاق من أعيا الأطباء داؤه مزاجا لها فاز المزاج بصحبة

ولو فوق ميت رش من صفو صرفها لقام بإذن الله حيا بسرعة

.....

هي الشمس إلا ما تغيب وإنها لتطرح أهل الشرب في تيه غيبة

لها البدر كأس والنجوم خباؤها وندمانها الأحباب أهل المحبة

وقولها: فما نفحت يوما بعطر أريجها على العقل إلا واهتدى للطريقة

وقولها: ولما تجلت منه مذ سألتها رأيت جبال الكون مني دكّت

وموسى خفاء السر خر بصعقة جلالية لولا الجمال لأفنت

وقولها : وماذا عسى عني يقال سوى فني وجودا أنا الفاني بباقي الهوية

من قول جميل: ماذا عسى الواشون أن يتحدثوا سوى أن يقولوا إني لك عاشق

نَعَم صَدَقَ الواشونَ أَنتِ كَريمَةٌ عَلَيَّ وَإِن لَم تَصفُ مِنكِ الخَلائِقُ.

ثانيا: مع لامية ابن الفارض وخمريته في الحبّ الإلهي والخمرة: فلو رجعنا إلى لامية ابن الفارض:[١]

أنتم فروضي ونفلي : أنتم حديثي وشغلي

يا قبلتي في صلاتي : إذا وقفت أصلي

جمالك نصب عيني : إذا وقفت أصلي

آنست في الحي نارا : ليلا فبشرت أهلي

قلت امكثوا فلعلي : أجد هدايَ لعلي

دنوت منها فكانت : نار المكلم قلبي

نوديت منها جهارا : ردّوا لياليَ وصلي

....

صارت جبالي دكا من هيبة المتجلي

ولاح سرّ خفي : يدريه من كان مثلي

فالموت فيه حياتي وفي حياتي قتلي

وصرت موسى زماني مذ صار بعضي كلي

وشعره عامة لوجدناها تتداخل في كثير من أبياتها قصيدة عائشة الباعونية تلاحق قصائده ملاحقة التلميذ لشيخه الذي لا يفارقه فينطبع في وجدانه فيقول

(١) ديوان ابن الفارض ، دار صادر ١٧٥.

بقولـه: ويهتدي بطريقتـه وهو حـال الباعونيـة، ابـن الفـارض: ولكـي لا أسترسـل فـي بحثي أتطرق لمسألة هذا التأثر في التائية فحسب فبالرجوع إلى ما ذكر من أبيات مصطلح الخمرة لوجدنا هذا القسم من التائية ولولا شذاها ما اهتديت لحانها:

شـربْنَا علـى ذكْـرِ الحبيـبِ مُدامَـةً ... سكِرْنَا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمُ

لها البدرُ كأسٌ وهيَ شمسٌ يُدِيرُهَا ... هـلالٌ وكـم يبـدو إذا مُزِجَـتْ نَجـم

ولـولا شـذَاها مـا اهتـدَيتُ لِحانِهـا ... ولـولا سَـناها مـا تصَـوّرها الـوَهْمُ

ولم يُبْقِ منها الدّهْرُ غيرَ حُشاشَةٍ ... كـأنّ خَفاها فـي صُدور النُّهى كـتْم

فـإن ذُكـرَتْ فـي الحَـيّ أصبحَ أهلُـهُ ... نَشـاوى ولا عـارٌ علـيهِمْ ولا إثْـم

ومِنْ بـينِ أحشـاء الـدّنانِ تصـاعدتْ ... ولـم يَبْقَ منها فـي الحقيقـة إلا اسمُ

وإن خَطَرَتْ يومًا على خاطرِ امرىءٍ ... أقامـتْ بـه الأفـراحُ وارتحـلَ الهـمّ

ولـو نَظَـرَ النُّـدْمَانُ خَـتمَ إنائِهـا ... لأسـكَرَهُمْ مـن دونِهـا ذلـكَ الخـتم

ولـو نَضـحوا منهـا ثـرَى قبـرِ مَيّـتٍ ... لعـادتْ إليـه الـرّوحُ وانـتَعَشَ الجسم

ولـو طَرَحُـوا فـي فَـيءِ حـائطِ كَرْمِهـا ... علـيلًا وقـد أشـفى لفَارَقَـهُ السّـقم

ولـو قَرّبُـوا مـن حانِهـا مُقْعَدًا مشَـى ... وتنطِـقُ مـن ذِكْـرَى مـذاقتِها الـبُكْم

ولو عَبِقَتْ في الشرق أنفاسُ طِيبِها ... وفـي الغـربِ مزكـومٌ لعـادَ لـهُ الشَّـم

ولـو خُضِبت من كأسِـها كفٌّ لامسٍ ... مَـا ضَـلّ فـي لَيْـلٍ وفـي يَـدِهِ الـنجم

ولـو جُليـتْ سِـرًّا علـى أكمَـهٍ غَـدا ... بَصـيرًا ومـن راووقِهـا تَسْـمَعُ الصّـم

ولـو أنّ رَكْبًـا يَمّمـوا تُـرْبَ أرْضِـهَا ... وفـي الرّكـبِ ملسـوعٌ لمَـا ضـرّهُ السّـمّ

يقولـونَ لـي صِـفْهَا فأنـتَ بوَصـفها ... خبيـرٌ أَجَـلْ عِنـدي بأوصـافها عِلـم

إنها الروح الفارضية التي ميزت ابن الفارض في ديوانه الذي تسرب إلى الباعونية ودخل فكرها وشدت بالذي شدا به ابن الفارض في وصف خمرته وتناصت في تصويره وانساحت في لفظه ورمزه وصورته ولا تأبه لهذا التقليد بل وكأني بها ترتقي إلى مصاف ابن الفارض فصنعت ما صنع وأتت بما أتى به وسلكت مسلكه في الشعر والصورة والأسلوب، نعم صدق من وصفها بأنها في عصرها كالخنساء في الجاهلية، وقد يؤيد ما ذهبنا إليه تائيتها التي تحاكي تائية ابن الفارض لا بل زادت عليها أنها تحاكي خمريته الميمية سالفة الذكر كما تحاكي لاميته وتستخدم معادله الموضوعي في قصائده.

وتعد التائية عالم متكامل تشير إلى رحلة شاعرتنا الباعونية مستلهمة فكرتها وبحرها ووزنها من سلطان العاشقين عمر بن الفارض في تائيته فهي سيرة حياة عاشقة صوفية خبيرة بمراحل التصوف ولديها القدرة على التحكم بألفاظها وجلب اللفظ الذي يتناسب مع المعنى مستخدمة في تائيتها اللغة الصوفية بمصطلحاتها إضافة إلى معجمي ألفاظ العشق والخمرة فوظفت كل ذلك في تائيتها تتنقل من أسلوب إلى أسلوب ومن موضوع إلى موضوع مستخدمة لغة عصرها في التركيز على القضايا البلاغية من جناس وطباق ومقابلة وتشبيه واستعارة وكناية وغيرها من وجوه البيان والبديع، وليس هذا بغريب على شاعرتنا الباعونية فهي صاحبة بديعية مشهورة "الفتح المبين في مدح الأمين" ومطلعها:

في حسن مطلع أقمار بذي سلم : أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

وقد شرحتها شرحا مختصرا[١] وعلى الرغم ما في القصيدة من تكلف وصنعة لأن القصيدة نظمت لبيان أنواع البديع، ولكننا نجد ألفاظها تحتوي ما أشرنا إليه من مصطلحات صوفية.

---

(١) نفحات الأزهار على نسمات الأسحار فى مدح النبى المختار، عبد الغنى النابلسى ، ط٣، ١٩٨٤ ،عالم الكتب، بيروت.

وقصائد الباعونية في الحب والفناء ما زالت حتى عصرنا هذا تطرب السامعين ويتغنى بها مشاهير المطربين والمغنين والمنشدين، وما زالت ترشد المحبين في سلوكهم في مدارج السالكين خاصة قصيدتها لوامع الفتوح في أشرف ممدوح:

سعد إن جئت الثنيات اللوي : حيّ عني الحي من آل لؤي .

مع أنها قصيدة في المديح النبوي إلا أنها جزء من التجربة الصوفية لا تقل قيمة عن التائية، والقصيدة تحتوي على مصطلحات الحب فنجد فيها شوقا وضراعة ورجاء وخوفا وحبا وولها ولوعة وضنى وسقاما وغراما.

وهناك تزاحم للمصطلحات الصوفية في كتابها :"المولد الأهنى في المولد الأسنى:[١]

حيث ورد فيه: واجب الوجود، الجبروت، العلم اللدني، الفقر الكلي، الغيب المكنون، التصريف، السر، ولي الله، القطب عبدالقادر الجيلاني، القطب الغوث، الفرد، العارف ، الفناء الكأس ،والسكر، والحان، الكنز الخفي ، الأحد، الجبروت. الملكوت، الجوى، قدم النور المحمدي: كنت كنزا مخفيا ، أول موجود من كنّ كن ، الأحدية، التجليات.

(١) عائشة الباعونية الدمشقية، المولد الأهنى في المولد الأسنى، ، تحقيق: فارس علاوي ، دار معد للطباعة والنشر ١٩٩٤، ويقول المحققان في مقدمة الكتاب: وما يميز هذا المولد كثرة ما يرد فيه من المصطلحات الصوفية ، وهذا دليل على مكانتها الكبيرة بين أعلام التصوف في عصرها ، وأنها العالمة الوحيدة التي تكتب مولدا نبويا وعليه فهي رائدة الكتابة في المولد النبوي بين النساء المسلمات".ص،١٠٣.

ونخلص في ختام البحث إلى ما يلي:

١. كثير من شعر الباعونية جاء نتيجة فيض رباني وإلهام ناتج عن التجربة الصوفية.

٢. شعر الباعونية يقوم على الرمز والغموض والانزياح.

٣. معجم ألفاظها متأثر بالتجربة الصوفية وأعلام التصوفية ففيه كثير من المحاكاة مع ابن الفارض والحلاج ورابعة العدوية...الخ.

٤. موضوعاتها لا تختلف عن موضوعات شعراء الصوفية كون التجربة الصوفية واحدة وتوصل إلى نتائج عرفانية.

٥. الموسيقى الداخلية تسيطر على مناجاة الباعونية شعرا ونثرا.

٦. والباعونية عاشقة صورت عشقها في ثنايا شعرها، ولكنها سلمت من الشطح الذي وقع فيه من شطح من الصوفية،

٧. يشيع المصطلح الصوفي في ديوانها ومصطلح الحقيقة المحمدية.

٨. الباعونية لا تقل أهمية من الناحية الأدبية عن غيرها وهي مجال واسع للدراسات السيميائية .

المصادر والمراجع

- ابن عربي، محيي الدين، رسائل بن عربي لبنان: دار إحياء التراث،١٣١٦هـ
- الباعونية عائشة ، ديوان فيض الفضل وجمع الشمل ، تحقيق مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.
- الباعونية عائشة الدمشقية، المولد الأهنى في المولد الأسنى، تحقيق: فارس علاوي، دار معد للطباعة والنشر ١٩٩٤
- الشاغوري، عبدالرحمن، الحدائق النية على النسمات الروحية، الموشح الرابع، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٤١٦هـ، ابن عربي ،
- الكردي محمد سعيد ، ديوان القصائد الروحية في الأسرار الذاتية، ، تحقيق عبدالرحمن الشعار ط١، كنز ناشرون، ٢٠٢٢م
- النابلسي، عبد الغني، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار، ط٣، ١٩٨٤ ،عالم الكتب، بيروت
- نيكلسون رينولد ، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: أبو العلاء عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م